مناقشة
أخوّة السواد

ثلاثة افريقيين وثلاثة افريقيين امريكيين يتباحثون في ما يشترك فيه الشعب الاسود حسب ظنهم . من افريقيا وليم ابراهام ، استاذ الفلسفة في جامعة غانا ، ومكامبو موغروا، طالب متخرج للحقوق من اوغندا ، ولويس نكوسي من جنوبي افريقيا. ومن العالم الجديد كان هناك باري ريكورد ، الكاتب المسرحي الجمايكي ، وآرنولد غيبونز من غيانا البريطانية ، وتشارلز باترسون من الولايات المتحدة . ويدير النقاش تشارلز باترسون .

باترسون : يبدو ان هناك اليوم ، في العالم كله ، كثيرا من التذمر بين السود من سكان الارض . ومما نجم عن هذا التذمر ، احد مواضيع النقاش الكبرى ، مسألة العلاقة ، او القربى، بين افراد الشعب الاسود في جميع انحاء العالم. وقد عبّر عن ذلك الشاعر الامريكي الزنجي لانغستون هيوز ، على هذا النحو : « قريبان نحن ، انا وانت ، انا من كنتاكي ، وانت من جزر الهند الغربية ، قريبان نحن ، انا وانت . انا من هذه الولايات، وانت من افريقيا . اخوان نحن، انا وانت ». وفي بحثه عن فكرة «الزنجية » قال سيزير المارتينيكي: « الزنجية تعني صفة معينة مشتركة في افكار وتصرف الزنوج . انها ترمز الى وعي الزنجي الجديد ، وثقته المكتسبة حديثا في نفسه ، والى نظرته المميزة الى الحياة التي يميز بها نفسه عن غير الزنوج » .

والسؤال الذي نود ان نطرحه اليوم هو : « هل نحن السود اقارب ؟ » ان كنا كذلك فما طبيعة هذه القربى ؟ اي ضرب من الاخوة نحن ؟ ما هي صفتنا المعينة ؟ ما هو هذا الذي نشترك فيه فكرا وتصرفا؟ هل ثمة ما يسمّى نظرتنا المميزة الى الحياة ؟ هل يتخطى ما نمتاز به من تصرف وافكار — الثقافات ، واللغات ، والحواجز ؟ هل يتخطى التواريخ المتفاوتة ؟ بعض الكتّاب حاول ان يجيب عن هذه الاسئلة. ومن افضلهم الزنجي الامريكي جيمز بولدوين ، وقد جاء جوابه في مناقشات موتمر الادباء والفنانين السود الذي انعقد في باريس عام ١٩٥٦ . فهو عندما ادهشه التضارب الكثير الناشىء بين الادباء والفنانين السود في المؤتمر ، حاول ان يتبين ما الذي بالضبط قد جمع بين هؤلاء الادباء والفنانين السود .

وهذا ما قاله : « كان هناك شيء ما يشترك فيه السود جميعا ، شيء يجتاز وجهات النظر المتضادة ، ويضع تجربتهم ، على تفاوتها الشاسع ، ضمن نفس الاطار . وهذا الذي كانوا دوما يشتركون فيه هو علاقتهم القلقة ، الاليمة جدا ، بالعالم الابيض . ان ما يشتركون فيه هو ضرورة اعادة صوغ العالم في شبههم ، وفرض هذا الشبه على العالم ، ورفضهم ان تسيطر عليهم رؤية الاناس الآخرين للعالم ولهم . والخلاصة ، ان ما يشترك فيه السود هو تحرقهم الى المجيء الى العالم كأناس ، وهذا التحرق وحّد شعبا كان من المحتمل لولا ذلك ان يتفرق في نظرته الى كيف يكون الأناس » .

غيبونز : للبدء في النقاش اود ان اعرض لاصدقائي وجها واحدا من المشكلة كما خطر لي . عندما يتأمل المرء الموضوع، فرضية النقاش الاساسية — اخوّة الانسان — فانه يوحي اليّ تمييزا مبنيا على اللون . فاذا قال المرء : « اسود » ، فانه يعلم جيدا انه اذا نظر في المرآة ، فانه لن يكون لديه ادنى شك ، ويخيل اليّ ان شخصا آخر ، قد يكون ابيض ، اذا نظر في المرآة، فانه ينتهي الى نفس النتيجة ، مع شيء من الهلع ، ربما . ولهذا ، اذا قال المرء ان ثمة اخوّة بين افراد الشعب الاسود، فانه يعني فيما اظن ان ثمة وشيجة اساسية، شعورا بالجماعية ، وعيا — يكاد يكون انتماء الى كيان معين . وانا اظن اننا، نحن الشعوب السوداء في انحاء العالم كله ، نشترك في شيء ما جميعا ، واود ان اقترح لكم ان بيننا شيئا واحدا مشتركا لا نستطيع التخلص منه — فهو معنا ولا محيد عنه : انه جزء من تراثنا . اني اقدم لكم قضية الرقّ الذي كان دائما ، فيما ارى ، مصدرا اساسيا للوحدة بين ثقافات متباينة ، بين شعوب متباينة في العالم .

موغروا : انني ، ايها السادة ، عندما انظر الى مسألة اخوّة الشعب الاسود ، اينما كانوا ، اوثر ان اعالجها بتقسيمها الى شقين . الشق الاول هو الشق السياسي ، اي الشعور القوي بالتحرر من السيطرة الاوربية بوجه خاص . والشق الثاني هو ذلك الوعي المستمد من الشعور بالتعبير الثقافي الذي ثُبّط او خُنق او عُكس لاجيال متلاحقة . ولما كان السود كلهم تقريبا قد اخضعوا في فترة ما لسيطرة الغير، اما كعبيد او كشعوب مستعمَرة، فان ذلك ولا ريب رابط قوي جدا . وسواء أكان الواحد منا من جزر الهند الغربية او نيجيريا او جنوبي افريقيا ، فانه يشعر ان اوربا ، عبر السنين ، قد جردته مما كان ملكا له — بل اعزّ ما يملك اي انسان — الحرية . واذا ما جئنا الى الحرية في التعبير الثقافي ، يؤسفني ان اقول انني لا اشاطر القناعة بعض الناس ، بعض الناس المهمين جدا ، امثال ايميه سيزير الذي استشهد بكلامه تشارلز في اول البحث ، الذي يريد ان يقول ان هناك ضربا من الاخوّة ، سمها الزنجية ان شئت ، او السواد. يخيل اليّ اننا ضمن مدى حريتنا، ان الشعب الافريقي كان حرا في التعبير عن نفسه ثقافيا ، وهذا الشعور بطلب ذات

ثقافية لا يتأتى بنفس الدرجة من الشدة كما يتأتى مثلا في الجزء الناطق بالفرنسية من افريقيا، حيث دخل الشعب الاسود المؤسسة الفرنسية ، ان صح هذا القول ، فوجدها ناقصة من بعض النواحي ، فكان ردّ الفعل لديه انه حاول ان يعوض عن النقص، او يقحم او يؤكد ما يعتقد انه افريقي بوجه خاص ، وهو الذي تطلق عليه تسمية « الزنجية » .

ريكورد : اظن انه يجمل بنا ان نتذكر اننا ، حينما نستعمل مصطلحا كالزنجية ، انما نضيف الى تلك الشوفينية التي هي من افكار القرن التاسع عشر لا القرن العشرين . فكل الكفاحات تؤدي الى هذا الضرب من القول التأخري من ان اقواما معينة افضل من اقوام اخرى ، او ان الوانا معينة اسمى من الوان اخرى ، في حين انني ارى ان من واجبنا الآن ، كزنوج في القرن العشرين ، ان نستمر من حيث غادر اوربيو القرن التاسع عشر المتأخرون — لا ان نكرر الاخطاء التي ادت الى هذه الحروب العديدة وهذه الاضطرابات التي لا ضرورة لها . نحن نعلم اننا نعاني مصاعب نفسية نشارك فيها افراد الطبقة العاملة . لقد كنا مقطّعي الحطب وساحبي الماء . ونحن نعلم ان علاج هذا هو نفس العلاج الذي يحاوله افراد الطبقة العاملة ، وهو اقتصادي وسياسي . ومن السخف ان نتحدث عنه كأنه امر يغاير تلك الفكرة السياسية الاقتصادية المعروفة ، فذلك بحث عن نوع من العلامة الفارقة . علينا ان نخرج عن هذا الخط الرتيب القديم ، ونلعب اللعبة التي يلعبها الجميع ، فنصبح اثرياء واقوياء ثم نتخاصم فيما بيننا .

ابراهام : يجب ان اقر انني اجد استهلال باري ريكورد محيرا . اولا ، لست افهم لماذا يقارن الزنجي بالطبقة العاملة البيضاء ، فانا لا اظن ان هنالك الكثير مما هو مشترك بين العرق الزنجي والطبقة العاملة البيضاء بحد ذاتها ، ولكن يبدو ان الزميل يظن ان الزنجي الآن يحاكمه الرجل الابيض وان الزنجي المثقف المستوحش اشبه بداود يجابه جوليات الابيض . انا لا استطيع ان اقبل هذا ابدا ، كما انني لا اعتقد ان هذا هو مصدر مشاعر عدم الارتياح التي قد تنتاب الزنجي في مجتمع غالب البياض . وبما ان الطبقة العاملة قد ادخلت في البحث ، فانني اود ان اشير الى ان من الظواهر الاجتماعية المعروفة ان كل طبقة ، حينما توجد الطبقات ، يلذّ لها ان تشعر ان هناك طبقة اخرى تحتها، ومن الطبيعي ان الطبقة العاملة في المجتمع الابيض ، وهي ادنى الطبقات في مثل هذا المجتمع ، تبحث عن فئة تستطيع ان تعتبرها طبقة ادنى منها ، وفي المجتمع الابيض يبدو ان الزنوج فقط يهيئون هذه الفئة . ومهما عُني الزنجي بتزيين نفسه بالثقافة ، والمال ، وغيرهما ، فانه ما دام زنجيا فان الفرد الابيض في الطبقة العاملة يحس ان بينهما هوة لا يمكن اقامة جسر عليها .

نكوسي : يخيل اليّ — وهنا اتفق مع باري — انه يجدر بنا في اول الامر ان نحذف

الزنجية العالمية من النقاش ، لانني لا احسب انها تفيدنا كثيرا ، فهي مصطلح غير محدد ، والاناس المختلفون يعنون به اشياء مختلفة . بعض الناس يعنون ان هذا الوعي الاسود يدل على احساس بين السود بتفوقهم على البيض ، وهي فكرة في رأيي شنيعة ، غير ان البعض الآخر يعنون ان على الشعب الاسود ان يشرع في التنقيب عن تراثاته الثقافية التي لعلها قد اهملت ، لانه انشغل بمحاولة التأثير على البعض وانتزاع اعجابهم ، وبالتالي بمحاولة استغلال الرموز التي اعطاها البيض للعالم ، وهذا امر مختلف . ولكن عندما نبدأ بسؤال انفسنا : هل هناك شعور مشترك بين افراد الشعب الاسود في العالم ، هل هناك رابط ما؟ قد نجيب عنه قائلين ان هناك صلات حقيقية بين السود ، وبخاصة في العالم الغربي ، وان بوسعنا ان نقسم هذا الرابط الى قسمين متميزين . اظن ان الشعب الاسود في العالم الغربي يشترك في تاريخ معين من فقدان الحرية سواء اكان افراده من زنوج امريكا ، او جزر الهند الغربية ، او افريقيا ، وان تجربتهم للاستعمار عميقة جدا في توحيد السود في العالم الغربي . الا ان العامل الثقافي عامـل محدود . بوسعك ان ترى في جزر الهند الغربية ان الزنجي قـد تأثر بالثقافات الافريقية الى حد ما ، ومن العبث نكران ما هو حقيقة يمكن برهانها. لا اظن ان المرء يستطيع المبالغة في التعميم بشأن النواحي الثقافية . مما لاريب فيه ان المرء يجد بقايا افريقية في ثقافة الزنجي الامريكية الذاتية ، حتى في الولايات المتحدة . ولكنها هي ايضا امر سطحي . اعتقد ان الناحية السياسية هي الاهم .

باترسون : (لآرنولد غيبونز) : لقد افتتحت انت يا آرنولد نقاشنا ، ويخيل اليّ انك ، اعتمادا على مـا قلت في المستهـل ، قد لا ترضى عما قـاله باري . ام انني اسيء تأويل ما قلت ؟

غيبونز : في الواقع ، لا. لن يريد مني باري ان اعزل الزنجي كشيء يوضع على حدة. ولما كان قد وُضع جانبا على حدة لالفي سنة ، فانني اظن ان عليه ان يسعى لتخليص نفسه من ذلك . وفضلا عن ذلك ، كما قال جان جينيه في مسرحية له : « لقد كان العالم ابيض لالفي سنة ، وكان الله ابيض ، وقد مسح شفتيه بمنديل ابيض ، واكل لحما ابيض بشوكة بيضاء ونظر الى الثلج وهو يتساقط » . هذه خلاصة للعالم بلغة العالم الابيض .وهو عالم ما دخلناه نحن الا الآن ؛ انه عالم نكافـح من اجل القيـام بدورنا فيه . وليس لدينا الوقت كله ولا هذه الحقوق التي هي هبة من الله. وان ذلك امر علينا ان نناضل من اجله، ولن يهبنا اياه احد ؛ علينا استحصاله ، وعلينا ان نعيد النظر في وضعنا . علينا ان نعيد تحديد قيمنا تجاه العالم الابيض لكي نستطيع مجـابهته وفق شروطه . اذا استطعنـا ان نكتشف طبيعة الشخصية الزنجية ، حينئذ فقط نستطيع ان نكتشف طبيعة الانسان . ولكن علينا ان نجد انفسنا ، وسيستغرقنا ذلك زمنا طويلا ، بالطبع ، غير اننا في

طريق الى ذلك .

باترسون : ولكن هل تعتقد ان ثمة شيئا هو الشخصية الزنجية ؟

غيبونز : ان الشخصية الزنجية ، في مفهوم ما ، هي في سبيل التطور . انا لا اريد بالمرة ان اضع الزنجي كانسان خارج الاناس ، ان صح هذا القول ، غير ان عليه ضمن حدود الانسان — وهنا اقصد بالانسان البشرية جمعاء — ان يجد نفسه ، لانه لم يعتبر انسانا قط . وهذا ما لا يدركه اكثر الناس . فكلمة « انسان » لها مدلول جديد كل الجدة ، بالنسبة الى الزنجي ، وهو لم يبدأ باكتشافه الا في القرن العشرين .

باترسون : اتصور ان لديك ردّ فعل لهذا يا باري ؟

ريكورد : يغضبني ان نلعب لعبة البيض بجعل الزنوج مشكلة خاصة . فنحن طلاب منزلة ، وهذا امر شائع في العالم باجمعه . فالناس يحاولون ان ينتقلوا من التفاهة الى الاهمية ، وتتطلع الطبقة الواحدة الى التقدم صعدا ، وكذلك الامة الواحدة ، وهلم جرا . فالكل يطلب المنزلة المرموقة ، وهكذا الزنوج ؛ فاذا رحنا نعتبر انفسنا باستمرار طلاب منزلة خاصين لهم شخصية خاصة يستغرق تحديدها سنين كثيرة ، فنحن انما نلعب هذه اللعبة المهينة . ولكننا لسنا كذلك ابدا . فنحن انما نعاني نفس المصاعب والعراقيل التي يعانيها اي شعب فقد حريته ، والعلاج مشترك وواحد ، ونحن نعرفه ، كما اننا لسنا نبدأ من بادىء بدء . انه سياسي ، واقتصادي . وانا اعترف ان التعليم والمال لن يزيدا من اطمئنان وراحة الزنجي ، ولكن السبب في ذلك هو ان البيض ينظرون اليه من خلال الجمهور ، فهو لا ينظر اليه كزنجي مثقف : انه ينظر اليه كزنجي ، وزنجي معناها غير مثقف ، قذر ، وغير ذلك مما تعنيه الطبقة الوسطى عندما تصف قوما بانه قذر . وهذه الكلمات تطلق على البروليتاريا ، سودها وبيضها . فربة النزل البيضاء ، اذا كانت من الطبقة الوسطى ، لايروق لها ان تُنزل في بيتها ارلنديا ، او احدا من « الكوكني » (الطبقة الدنيا من اهل لندن) ، لان ثمة تعصبات ضدهما ، وهي نفسها تنطبق على الزنجي ايضا . هذا اذاً الشيء الاول : وهو ان الزنوج المثقفين القلائل ينظر اليهم بعيون هذا الجمهور . والشيء الثاني الذي اريد توضيحه ، هو انني لست اقول انه يجب على الزنوج ان يقرعوا ابواب البيض طلبا للقبول ، وانا لا شأن لي بالبيض جمهورا ، او بالسود جمهورا . اما الذي يهمني فهو الزنجي الذي يشعر بالضعة رغم ثقافته . بعض الناس هنا يقولون اننا مثقفون ، وان لدينا شيئا من المال ، ومع ذلك فاننا نشعر بالضعة ، والجواب على ذلك هو اننا نشعر بالضعة لان جماهير شعبنا ما زالت تتألف من العمال البروليتاريين ، وهذا امر مفهوم .

ابراهام : ولكن هذا غير صحيح . اعني ان جماهير شعبنا ليست بروليتارية . قد تقول ان معظمها من الفلاحين ، ولكنها ليست بروليتارية قطعا ، فجماهير شعبنا لا تعيش في

مجتمعات بيضاء .

غيبونز : ما الفرق ، ارجوك ، بين الفلاحين والبروليتاريا ؟

ابراهام : يمكن القول ان الفرق فني ، ولكن البروليتاري يجب ان يعمل لقاء اجور .

ريكورد : نعم . لا تخلط ، فالموضوع يكفيه ما فيه من صعوبة ، واقحام الفروق الفنية كلام فارغ . لا تجادل حبا في الجدل ، ولا تلعب على الالفاظ .

ابراهام : لست احاول ان العب على الالفاظ ، ولعل هناك كلاما فارغا وهو ما اريد ان اكتشفه . فالذي اقوله هو ان جماهير الزنوج لا تعيش في مجتمعات بيضاء ، وانها تعيش في افريقيا ، وافريقيا ليست غالبة البياض . وعندما يحس الناس بالضعة ، عندما يحس الزنوج بالضعة ، فانهم يكونون عادة في مجتمع ابيض . ولذا فانا اري ان الاستنتاج مبني على امر غير واقع ، والادعاء انه امر واقع ، لان جميع الزنوج الذين يعيشون في مجتمعات بيضاء والبيض الذين يعيشون في مجتمعات بيضاء بامكانهم ان يروا ان كل الزنوج الذين سوف يعيشون في مجتمعات بيضاء هم لذلك بروليتاريون ولا يهمهم ان يفرزوا القمح عن التبن ؛ غير ان الواقع ليس كذلك ابدا ، لان جماهير الزنوج لا تعيش في مجتمعات بيضاء ابدا ، ولذلك فان ميلهم الى الشعور بالضعة ليس ناجما عن تأمل انفسهم وعلاقاتهم بالبيض في المجتمعات البيضاء . واذا كان الناس يشعرون بالضعة ، فلا بد ان السبب كائن في موضع آخر غير الذي ذكرته .

موغروا : هل لي ان اتفق مع ابراهام في جوهر ما قال ، على الاقل جزئيا . كما قلت سابقا ، ان المشكلة كما يراها الزنجي في وسط غالب البياض تختلف بالطبع عن تلك التي يراها رجل مثلي او رجل من غانا ؛ غير ان معترضا قد يقول ، اذا كان مجتمعك رفيعا في نظر قومك فلماذا ازعجت نفسك بالمجيء الى الولايات المتحدة او انكلترا للدراسة ، لدراسة الاشياء التي بوسع انكلترا ان تقدمها ؟ وجوابي البسيط على ذلك هو ان مجتمعي يعترف بان بعض الامور ناقصة لديه ، وان انكلترا او المانيا تتقن صنعها ، ويمكننا تعلمها . الا ان هذا لايبلغ القلب الاجتماعي ، ولا يمس قيم المجتمع الاساسية . فهذه انما هي اضافات مادية ، وهي قد تؤثر في الصورة النهائية ، في الشكل النهائي لذلك المجتمع ؛ غير ان التغيير سيكون غير ملحوظ ، ولن نريد هذا القلق او التحسر الذي نراه في رجل عائش في مجتمع فيحاول يائسا ان يكون مهندما اصوليا لان كل من حوله مهندم واصولي وهو الزنجي الوحيد الذي تخرج من جامعة هارفرد. فهذا لا نعرفه في المجتمعات التي تغلب عليها الافريقية ، وهذه نقطة يجب ان نذكرها . وثمة نقطة اخرى : الافريقي في امريكا ـ فان جماهير الزنوج تعرقل الزنجي الصاعد ، وهو الذي يشعر ان جماهير شعبه تجرّه الى الاسفل . اما افريقيا فأغلب الظن ان الصورة فيها مختلفة بعض الشيء ، على الاقل شمالي

الزمبيزي، لهذا السبب—الافارقة في افريقيا لايأتون الى اوربا ولا يذهبون الى جوهانسبرغ، حيث يشعرون انهم نوعا ما منبوذون من المجتمع الذي اقامه البيض . فمعظم الناس مرتاحون في نهج حياتهم البسيط ، مستقرون في زراعتهم ، في منشآتهم الصغيرة . والافريقي من هذا الوسط القادم الى انكلترا هو الذي تنظر اليه بازدراء ربة النزل ، وهو الذي يتألم ويعاني تلك التوترات التي تحاول انت يا باري ان تقلل من شأنها طيلة الوقت وذلك بان تقول انك افريقي مثقف ، فهل تشعر بانك دون البيض ؟ فالافريقي الذي يخرج من محيطه ووسطه يشعر بهذه التوترات ، وان يتفاوت الافراد في هذا الشعور بالطبع، فاعتقد انه كلما كنت اكبر سنا حين تغادر مجتمعك، كان ذلك خيرا لك . لقد غادرته انا عندما كنت في الثالثة والعشرين . كنت متشككا لا تثيرني القيم البيضاء ، وقد أغضب كلما اطالوا النظر اليّ ، ولكن ذلك لا يجعلني اشعر ابدا بالضعة ،وكل ما هنالك هو انني اشعر ان فهمهم اقل بكثير مما ينبغي . واذا هرب الاطفال مني ، فقد رأيت الاطفال في قريتي يهربون عند مقدم رجل ابيض . فاذا هرب الاطفال البيض عند رؤيتي قادما ، فلا بأس ، فانا غريب والاطفال يهربون من كل ما يرونه ، وردّ الفعل في نفسي ، لذلك ، يتلطف بما اعرفه عن وسطي .

ريكورد : انت هنا متفق معي ، اظن .

موغروا : يسعدني ان يكون الامر كذلك !

ابراهام : اظن ان من المشكوك فيه ان تكون المشاعر التي يشعرها العديد من الزنوج في حضرة الاناس البيض مشاعر الضعة . اعني انها مشاعر الانزعاج ، بل ومسألة اللون ، ولكن هذا ليس معناه ان المرء يرضى بموقف من الحس بعدم الجدارة في مجتمع معين . انه الشعور بالانزعاج اكثر منه الضعة .

باترسون : لعل هذا يعني ، على نحو ما ، ان هناك ضربا من الصراع المستمر بين السود ، وبخاصة اولئك الذين يعيشون في مجتمع غالب البياض ، ضربا من الصرع الذي يحتم على كل اسود في المجتمع ان يكون دائما مستعدا لمحاربة انواع معينة من الضغط ، واهمّ الامثلة على ذلك محاربة الضغط الذي يحاول ان يفرض على الزنجي فكرة البيض عنه. فهل هذا ...

ابراهام : لا شك ، اظن ان هذا جزء من البرهان على ان الشعور ليس شعور الضعة ، اذ لو شعرت بالضعة لكان في ذلك نهاية الامر ، ولن اشعر بالضرورة بالانزعاج بمجرد انتباهي له ولو مجانيا . ولكن لادراكي انني لا ارى انني اقل من غيري شأنا ، لانه ابيض ولمجرد اني اسود ، فانني انزعج حين يتظاهر هو بأن العكس هو الصحيح .

نكوسي : نعم . واود ان اضيف الى النقاش هذا الرأي ، وهو انني احس ان الطفل

الابيض عندما يأتي الى الدنيا ويبدأ بالنظر الى العالم ، فان اول فرضية يفترضها هي ان الدنيا انما صنعت له وان الدنيا يجب ان تؤكد على رؤيته هذه لها . اما الطفل الاسود ، فبسبب فقدان الحرية هذا وقتا طويلا لا يفترض هذه الفرضية ، ولان الطفل الابيض يفترض هذه الفرضية ، ولا يفترضها الطفل الاسود عندما ينظر الى ما حوله ، فان هذا يحدد العلاقة بين العالم الاسود والعالم الابيض؛ ورفض الرجل الاسود عندما يكتسب الوعي السياسي ، رفضه الاعتراف برؤية الرجل الابيض للعالم ، هو في الواقع بداية وعيه ، اذ يروح يبحث ويتساءل : « من انا ؟ » و « من هم السود في العالم ؟ » . لا مناص لنا من اننا انما نحاول تحديد انفسنا تجاه عالم ابيض .

وعليّ ان اقول انني اشعر ان ثمة شيئا هو اخوّة الشعب الاسود ، وانني اعتقد انها مبنية على عوامل يمكن تحديدها ، عوامل سياسية — كالاستعمار ، بل وعوامل اقتصادية ، وهي في رأيي متلازمة على كل حال . وعامل اعتباطي آخر ، هو اللون ؛ لانني احسب ان بعض الزنوج في امريكا قد لا يشبهونني ، واذا كان لونهم ابيض فقد اميل ظاهريا الى ان يقلّ شعوري بانني اخ لهم على هذا المستوى الذي نتحدث عليه ، لمجرد ان الواحد منهم ابيض ؛ ولكن عندما ارى رجلا ابيض يقاتل رجلا اسود في بيكاديلي تنتابني نبضات عاطفية معينة وافترض اشياء قد لا افترضها حين ارى الاسود يقاتل الاسود او الابيض يقاتل الابيض . ومن العبث ان يلومني باري على ذلك ، او ان ينسبه الى مركب النقص : فالمسألة مسألة تراث تاريخي لا نستطيع نكرانه ، ولئن نود التخلص منه ، فانه موجود ولا ريب فيه . ولذا فلست اظن انني اشعر بنفس الثقة ان انا تحدثت عنه كأنه مبني على التراث الثقافي ، مع انه قد تكون هناك وشائج بين بعض الزنوج وبعض الافريقيين. غير انني اشعر شعورا قويا ان هذه الوشائج موجودة سياسيا بسبب الطريقة التي اختبرنا بها الرجل الابيض بين ظهرانينا .